الرّبو

لجناب الدكتور نقولا افندي نرطيب في الجيش المصريّ

اريد بالرّبو في هذه المقالة المرض المعروف عند الاطباء بالرّبو التشنجي او العصبي. وساقصر كلامي فيهِ على ما تعمُّ بهِ الفائدة وتهمُّ معرفته غيرَ الاطباء من القرّاء مخبرًا ذكر الامور العامّة مجتنبًا اصطلاحات الاطبّاء ومباحثهم الدقيقة قدر الامكان والله المستعان فاقول

الرّبو مرضٌ يو تصيب الانسان نُوَبٌ يعسر عليهِ التنفُّس فيها عسرًا شديدًا ويسمع لهُ عندها صفير وشخير. ثم يعود التنفُّس سهلاً طبيعيًّا ويزول الشخير والصفير عادةً في الفترات المتوسطة بين النوَب. وهو يصيب الناس في كل طورٍ من اطوار الحياة من الاطفال الى الشيوخ ولكنهُ يكثر في مَن كان سنُّهم بين عشرين وخمسين اكثر مما في سواهم وفي الذكور اكثر مما في الاناث. والبعض يرثونهُ من والديهم وراثةً والاكثرون يصابون بهِ اثر التهاب في الغشاء المخاطي المغشي لاعضاء التنفس فيهم ولا سيَّما اذا عاشوا عيشة الطيش والبطر. وسبب حدوثهِ ان عضلات المسالك الهوائية الدقيقة المتفرعة في الرئتين والمعروفة بالشُّعَب تتشنَّج وبتشنُّجها ينحصر الهواء في الشعب ولا يعود للعليل قدرة على تنفس الهواء النقي فيتضايق لسبب ذلك كتضايق الغريق او المخنوق

فمتى وجد في الانسان الاستعداد لهذا المرَض الثقيل الوطأة كان عرضةً للوقوع فيهِ متى وُجِد سببٌ من الاسباب المحدثة لهُ. ومن الاسباب عديدٌ منها ما يؤثر في شعَب الرئتين نفسها ومنها ما يؤثر في اعصاب الجسد والاعصاب تعكس التأثير الى الشعب (بما يُعرَف بالفعل المنعكس) فمن الاسباب الأولى الاشياء المهيجة التي يستنشقها الانسان بالتنفُّس كالغبار والمواد الحريفة والرياح والروائح الحادة ولكن تأثير هذه لا يطَّرد في الناس كلهم فمنهم من يتأثر من الروائح الخبيثة كرائحة الكبريت والقطران ولا يتأثر من الروائح الطيبة ومنهم مَن هو بالضد من ذلك فيتأثر من الروائح الطيبة ولا يتأثر من الخبيثة. ومنهم مَن يتأثر بالريح الشرقية دون غيرها ومنهم بالشمالية دون غيرها ومنهم مَن يلائمهُ مكان يضرُّ غيرهُ والعكس بالعكس بحيث يتعذَّر تعيين تأثير هذه المؤثرات بتبدٍ واحدٍ. ومن هذه الاسباب ايضًا الاجسام الغريبة التي يمتصها الدم من الطعام والشراب ولا سيَّما بالمسكرات فتغيِّر كيفيتهُ حتى اذا مرَّ على عضلات الشعب اثناء دورانهِ في الجسد هيَّج اعصابها فتتشنَّج بذلك التشنج الذي يفضي الى عسر التنفُّس وتحدث الرّبو الذي

نحن بصددهِ . ومن هذه الاسباب ايضًا التهاب الغشاء المخاطي المغشي للشعب وهو اشهر الاسباب المحدثة للزبو كما مرَّ معنا آنفًا

واما الاسباب الثانية وهي التي تؤثر في اعصاب الجسد ثم تؤدي الاعصاب التاثير الى شعب الرئتين فمنها المواد التي لا تهضمها المعدة من طعامٍ وشرابٍ فتخمير فيها ومنها الديدان والعذرات في الامعاء وغير ذلك من الاسباب التي لا نطيل بذكرها

والغالب ان نوبة الزبو تأتي الانسان ليلاً لا نهارًا فاذا كان لم يُصَب بها قبلاً لم يدرِ الاَّ وهو مصابٌ بها واما اذا كان قد ذاق طعمها فيشعر بها قبل حلولها ويستعدُّ لها قبل نزولها لاعراضٍ تعرض له فتنذرهُ بقدومها فالبعض يزيد بهم البسط والانشراح والانتباه قبلها والبعض يزيد بهم الكدر والانقباض والكرب. فيضطجع العليل على فراشهِ وينام ثم يضطرب نومهُ ويتنطَّع ويأخذهُ القَلَق وهو نائم فينقلب على فراشهِ ولا يجد راحةً ثم يعسر عليهِ التنفس فجأةً حتى يكاد يختنق فينهض طالبًا استنشاق الهواء النقي ومتى اشتدَّت النوبة عليهِ احنى بنفسهِ الى الامام واسند يديهِ على جسمٍ متين ليرفع كتفيهِ ويوسِّع صدرهُ فيكثر الهواء فيهِ ولكن ذلك لا يجديهِ نفعًا لان الهواء الذي يتلقَّاهُ صدرهُ يكون فاسدًا خاليًا من الاكسجين اللازم لتطهير دمهِ ومهما جاهد في طردهِ من صدرهِ لم يطرد منهُ الاَّ القليل لان زفيرهُ (اي اخراجهُ النَفَس) يكون بطيئًا وقصيرًا جدًّا ولو كان شهيقهُ (ادخالهُ النفس) طويلاً فيحدث حينئذٍ صوت الصفير والشخير المعهود في المصابين بالزبو . وذلك كلهُ من تشنج عضلات الشعب في الرئتين وعدم اذعانها للزفير . ولسبب انحصار الهواء في الرئتين يتوارد الدم اليهما فيصفرُّ الوجه اولاً واذا طالت النوبة تبدَّل اصفرارهُ بالزرقة وانتفخت اوردة (عروق) العنق ودمعت العينان وسال العَرَق باردًا عن الوجه واليدين والرجلين وطلب العليل تمريق ثيابهِ عنهُ اذ لا يحتمل شدًّا ولا ضغطًا عليهِ واتسع صدرهُ لفرط مجاهدتهِ في التنفس وبردت يداهُ ورجلاهُ وصغر نبضهُ واسرع . وهذه اشهر الاعراض التي يلتفت العامَّة اليها واما الطبيب فاهمُّ الاعراض عندهُ فقد اللغط التنفسي مع حصول الخراخر الصفيريَّة والشخيريَّة كما هو مذكور في الكتب الطبيَّة

اما مدَّة نوبة الزَّبو فتختلف فقد تدوم في البعض ساعتين او ثلاثًا ثم تزول وقد تدوم يومًا او يومين واذا طال دوامها كان زوالها تدريجيًّا . ومتى قرب زوالها ينفث العليل ما يكون قد تجمع في صدرهِ من النفث والمخاط لان تشنج عضلات الشعب يمنع من نفثهِ اثناء النوبة * واما الفترة المتوسِّطة بين نوبتين فتختلف ايضًا فقد تطول في البعض سنةً وفي البعض شهرًا او اسبوعًا او يومًا وحينئذٍ تتكرر النوب عليهم كل يوم . فاذا طالت الفترة قوي الأمل بشفاء العليل من

علتو لان الرئتين ترتاحان من العلَّة اثناء الفترة فيحتمل ان يزول منها الاحتقان والالتهاب وتصحّا واما اذا قصرت الفترة ضعف الأمل بالشفاء لشدَّة تعرُّض الرئتين للاحتقان والالتهاب فتعتلّان وتوردان صاحبها حتفهُ ولاسيما اذا كان بهِ علة أُخرى

ومما يجب اعتبارهُ من قبيل الانذار بالشفاء وعدمهِ ان الزُّبو كثيرًا ما يصيب الانسان لعلَّةٍ أُخرى . فان كانت هذه العلة غير قابلة للشفاء فهو ايضًا لا يقبل الشفاء لان شفاءهُ متوقف على شفائها وجُهد ما يستطاع عملهُ بواسطة العلاج والاعتناء حينئذٍ تلطيف الزبو حتى لا يتضايق العليل مضايقة زائدة . ومما يجب اعتبارهُ ايضًا سنُّ العليل فالصغير قد يشفى مما لا يشفى منهُ الكبير وابن الاربعين قلما يشفى من الزبو وابن الستين لا يشفى منهُ مطلقًا . وكلَّما ترايدت النُّوب عددًا وشدَّة قلَّ الامل بالشفاء وكلما قلت عددًا وشدة قوي الأمل بالشفاء

اما علاج الزُّبو فمنهُ ما يكون منهُ النوبة ومنهُ ما يكون مدة الفترة — فما كان مدَّة النوبة معظم القصد منهُ تخفيفها وازالتها عن العليل ولذلك بوضع أحسن وضع يرتاح فيهِ بان يُحنَى الى الامام وتسند ذراعاهُ على جسم متين ترتفع كتفاهُ ويتسع صدرهُ في محل مطلق نقي الهواء ويمنع عن الكلام ويُبعَد الناس عنهُ . والعقاقير التي تُستعمل لازالة النوبة كثيرة متنوّعة وما ينفع الواحد منها قد لا ينفع الآخر ولذلك يراعى فيها اختبار العليل فلا يُعطَى ما جُرِّب فيهِ ولم يُفِد . وينظر الى سبب النوبة فان كان قبضًا مستعصيًا يُعطى العليل مسهلاً واذا لم يتيسَّر ذلك يحقن بما يزيل القبض . ومن العقاقير المفيدة خمر الايكاك لتنبيه العليل ولا يعطاها الاَّ اذا لم يكن ضعيفًا جدًّا . ومنها التبغ يدخن بالغليون فيفيد مَن لم يكن معتادًا عليهِ ولا يفيد المعتاد عليهِ . ومنها المنبِّهات الثقيلة مثل القهوة والشاي الثقيلين فيفيدان اذا شُربا على الفراغ

وعلاج الزبو في الفترة هو اولاً تغيير الهواء فقد يأتي وحدهُ بالشفاء ولاسيما اذا انتقل العليل الى بلاد معتدلة وشرب مياهها . وثانيًا الانتباه الى الطعام والشراب فلا يُؤكل الاَّ السهل الهضم لتبقى المعدة مرتاحة والامعاء متلينة . ويحرَّس العليل من النوم قبل ان يُهضَم الطعام في المعدة هضمًا تامًا . وثالثًا الامتناع عن استنشاق كل شيء مهيج كالروائح الحادَّة والابخرة المضرَّة ولذلك يحسن ان تكون سكنى العليل في محل قليل السكان نقيّ الهواء . واذا كان الزبو حادثًا عن علةٍ اخرى يكون علاجهُ بعلاجها فبازالة السبب يزول المسبَّب

أكرم الجارَ وراعِ حقَّهُ إنَّ عرفانَ الفتى الحقَّ كَرَمْ
إنَّ شرَّ الناسِ مَنْ يدحُني حينَ يلقاني وإن غبتُ شتَمْ